للثورة استمرارها ، وباطار جغرافي يجعل الارض (القاعـــدة ـــ المنطلق) جـــزءا اساسيا منه .

المطروح اذن بوضوح هو الغاء الكيان الاردني من جانب وبناء كيان ـــ ثورة بديل من جانب آخر . غير ان السؤال الذي يثار هنا هو هل يمكن لمثل هذه الاطروحة في تصديها للكيانية الاردنية أن تلغي هذا التراث الذي تطاول لمدة تزيد عن نصف قرن وتقفز من فوقه ؟ ان الاجابة عن هذا السؤال تفترض نظرة واقعية ـــ وان بايجاز ـــ الى نمو الكيانية الاردنية وتطورها :

الكيان الاردني كيان طارىء دخيل على تاريخ المنطقة مبرر وجوده الوحيد كما اسلفنا هو تمكين بريطانيه من تنفيذ سياستها في المنطقة ولم ينفك هذا المبرر عن الاستمرار بتغير الزعامة الاستعمارية . وعلى الرغم من المحاولات الكثيرة التي مورست لتكريس الكيانية الاردنية فان أي استعراض لتاريخ شرق الاردن يكشف ان هذه المحاولات كانت تصطدم دائما بحقيقة واحدة هي ان مصالح الجماهير وتطلعاتها في شرق الاردن كانت باستمرار تتجاوز هذه الكيانية الضيقة لانها أدركت منذ البدء انها مصطنعة وبذلك لم تحملها محمل الجد . ومع تأسيس هذا الكيان في العام ١٩٢١ يلاحظ ان الحركة الوطنية العربية التي تمثلت آنذاك بالاستقلاليين الذين لجأوا الى شرق الاردن من دمشق بعد سقوط مملكة فيصل ، اعتبرته قاعدة انطلاق لها لمقارعة الفرنسيين في الشمال . وكان تحالفهم مع عبدالله ـــ قبل ردته عليهم ـــ الذي خدع الحركة الوطنية لدى قدومه من الحجاز بمزاعم التصدي للفرنسيين واستعادة عرش فيصل ، مبنيا على هذا الاساس . كما يلاحظ بعد ذلك ان هموم الحركة الوطنية في شرق الاردن كانت دائما « هموما غير كيانية » ، ودليل ذلك ان جميع الاحزاب والحركات الوطنية التي نشأت هناك كانت باستمرار امتدادات لحركات وأحزاب عربية . ومقابل ذلك فان « الاحزاب » التي أريد لها أن تكون أردنية بحتة دون امتداد عربي كانت دائما ـــ باستثناءات قليلة ـــ أحزابا مرتبطة بالنظام (بالعرش نفسه او بأركان النظام ورموزه) وبالتالي فان مصلحتها تكمن في تكريس الكيانية . اما الاستثناءات الوطنية القليلة في هذا السياق فلم يكتب لهـــا الحياة وكانت طارئة على مسار تاريخ شرق الاردن (نشير هنـــا كأمثلة الى حزب الشباب الذي قاده الدكتور ابو غنيمه من دمشق والحزب الوطني الاشتراكي) .

ما نريد استنتاجه هنا هو ان الانتمائية الكيانية الاردنية ظلت عائمة على السطح ولم تصبح من تراث الجماهير المتأصل في وجدانها الوطني لفترة طويلة من تاريخ شرق الاردن وان كانت في السنوات الاخيرة قد اتخذت لهـــا شكلا مَرَضيا . وقد بدأ هذا الشكل مع وصفي التل ومدرسته السياسية المعروفة في هذا الصدد الذي حاول منذ ما قبل العام ١٩٦٧ أن يكرس هذه الكيانية ويعصرنها . الا أن الواقع الديموغرافي لشرق الاردن جعل هذه المحاولات تتجه نحو شق المجتمع الواحد ما بين فلسطيني واردني الامر الذي تعزز مع أيلول ١٩٧٠ . وقد شهدت المرحلة ـــ ما بعد ـــ الايلولية تحولا ظاهرا في الكيانية الاردنية سمته الاساسية اقليمية شرق أردنية غير سوية ضمن المجتمع الواحد . وقد أثرت هذه الظاهرة حتى على بعض الرموز الوطنية في شرق الاردن الذين تحدثوا ، تحت شعار مراجعة مواقفهم السابقة لمجازر أيلول ، عـــن « أخطاء » الفترة السابقة وجعلوا احدهـــا تبعية الحركة الوطنية الاردنيـــة للثورة الفلسطينية . واذا كان هذا التقييم صحيحا ، وهو كذلك ، فلم يكن ذلك نتيجة خطأ الثورة او بذنبها وانما الواقع الموضوعي للثورة الفلسطينية والحركة الوطنية الاردنية ـــ التي نميل الى تسميتها الحركة الوطنية في الاردن ـــ هو الذي أفرز تقدم الثورة وأخذها موقعا قياديا دون الحركة الوطنية . وهو دليل آخر ، ونتيجة كذلك ، لعدم